لزجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، فشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية ، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطيًا : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويعلى كلمة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلمة وسلطان فجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

عمر السرقى

وليم بتلر يايتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأيرلندة أدباً

١٨٦٥ — ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاب مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالم عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر يايتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتى » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لِنْد » بعد وفاة يايتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسب ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعل أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر

الأسود الفاحم وتلك « الربطة » المضطربة وتلك اليد الشاحبة ، لم يكونوا نيروا فيه إلاّ أحاسيس وأحلام لا قدرة له على عمل عمل ولا سلاح فيه لتنظيم

بَيْدَ أن « يايتس » كان يشتمل على طاقة روحية وقوة حماسية لا حدّ لها ، وكان فى الوقت نفسه « عملياً » لا يقل عن غيره من أهل التنظيم والإنشاء ، والمعنيّين بمسائل الجمعيات وإدارتها ، حدّة ذهن وسرعة خاطر » — « وإذا كان (البعث الأرلندى الأدبى) حدثاً من أشهر أحداث زماننا هذا فإنه إلى حماسة يايتس ودعايته ينبغى أن يُوجّه أكثر المدح والثناء[1] »

— ٢ —

ولد المستر « وليم بتلر يايتس » فى « ساندیماونت » من « دبلن » فى ١٣ يونية سنة ١٨٦٥ ، وكان أبوه مصوّراً معروفاً وكان جدّه لأمّه تاجراً قديراً . أُدخل وهو ابن تسع « مدرسة غودلفِنْ » بلندن ، وحين بلغ الخامسة عشرة دخل « مدرسة إراسموس سميث » . ثم دخل الجامعة وتخصّص فى التصوير ، ثم انصرف إلى الشعر . وكان فى العشرين حين نشر فى « مجلة جامعة دبلن » أولى قصائده وهى « جزيرة التماثيل »

* * *

ويايتس نفسه يصف انصرافه إلى الشعر بأنه أكثر من استجابة لدافع من الطموح الشخصىّ « فما كان موضوع أحلامه يومئذ » كما يقول النقّادة فورست ريد « بأقلّ من خلق أدب لارلندة كامل . ففى تلك الأحلام تستقرُّ بذور (الحركة الأرلندية) الحديثة؛ ومع أن فكرة إنشاء مسرح قومىّ كانت لا تزال بعيدة ، فإنها هى أيضاً لم تك إلا تطوّراً لطموح غلام لا يتجاوز العشرين »

كيف استطاع ذلك الفتى الصوفىّ الحالم ، الذى كان فيما روت أديبة ناقدة فى كتاب لها عنه عنوانه : « ذكريات خمس سنين » يظلّ ساعات من النهار يقرأ الشعر ، ويترنم به فى زاوية من الدار وهو فى شبه غيبوبة ، ولا يتذكر الجوع أبداً إن لم يذكّر به ؛ أو ينهضُ فى الهزيع الأخير من الليل ليقضى ما تبقى منه فى الغناء والإنشاد ، والذى كانت الراوية المذكورة تسلمه الرسالة ليُلقيها ، وهو المطيع أبداً فى صندوق البريد ، فيتناول الرسالة ويضعها فى سلة عظيمة ، ويحمل السلة إلى دار البريد ، والرسالة المسكينة تعلو وتنخفض، وتقوم وتقعد هنالك! والذى اتفق له مرّة أن كان واقفاً وهى إلى جانبه على الرصيف فى الليل ، ينتظران عربة ، والمطر ينهمر مدراراً ، والطريق موحل ، والماء إلى الركب ، فتذكر قصيدة شلى الطويلة : « النَّبتة الحساسة » . فاندفع يصب الشعر فى أذنيها وقد مالت المظلة التى كانت بيده بحيث لا تقى أيًّا منهما ! والذى شاهده أحد أصدقائه الشعراء مرّة يرسم صورة لغابة أمامه ، فى وهج الظهيرة ، والشمس تذيب الصخور ؛ فلما دنا من الصورة ، وجد المشهد هو مشهد الغابة ولكن الألوان ... هى أشعة القمر !

أقول كيف استطاع هذا الشاعر الصوفىّ الحالم الذى ماسقنا الأمثلة السابقة من حياة صباه إلاّ لنبيّن أنه ذاتىٌّ منطو على نفسه ، أن يتزعم الجمعيات الكبرى ، ويترأس حركة قومية وأدبية فنية تعدُّ « من أشهر أحداث زماننا هذا ؟ » لست أدرى؛ فذلك سر من أسرار العبقرية والوراثة

ولكن الذى أدريه أن حياته كانت سلسلة باهرة من الفتوح « يتضح مَداها » كما يقول المستر روبرت لند ، « لكلّ مَنْ يقارن بين مركز الأدب الأرلندىّ فى اللسان الانجليزى قبل أن يبدأ يايتس فى الكتابة والنظم ، وبين مركزه عند وفاته . لقد كانت ارلندا قبل يايتس لا وجود لها على خريطة العالم الأدبية ، ولكنها بقيادته أضحت مثوى للعبقرية . فليس لأديب من أدباء هذا العصر أن يفخر بعمل أجلّ من عمله وأبرز »[1]

— ٣ —

لقد التقت فى « يتس » تأثيرات أرلندية وانجليزية وأوربية ، فهو فنان رمزى ، أو لعله شبه رمزى ، يستمد الوحى والمادة من تقاليد أرلندا القديمة ، ومن أساطيرها البعيدة ، ومن مشاهد أريافها وأرضها وسمائها ، وقلما التفت إلى أهل البلاد أنفسهم ، (ولكن أليست عبقرية البلاد هى عبقرية ساكنيها ؟) ويقوم شعره وخصوصاً فى شبابه — وشعر شبابه قد يكون أروعَ من شعره فيما بعد ، وأصدقَ عبارة عن طبيعة عبقريته — على صوفية رقيقة تذكر فى غرابة أحلامها وشدة أسرها بصوفية « بلايك » وقد تميل إلى الرمزية وخصوصاً فى مجموعته الموسومة « بالريح بين القصب » وقد ظهرت قبل بدء هذا القرن وبعد اتصال الشاعر

(١) Lynd, «John O'London», Feb., 10, 1939.

(١) ومع ذلك فقد بقى حتى كهولته فقيراً لا يملك شروى نقير . على أنه قدر فى شيخوخته ، فمنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ . وكان عند وفاته عضواً فى مجلس الأعيان (أو الشيوخ) الارلندى

« بملارميه »[1] كما يقوم شعره على الألوان الناسقة والأضواء الخافتة بوجه عام

ولفظه صقيلٌ نقيٌ بسيط . وهذه الصفة وإن غلبت على الشعر الرمزيّ والصوفيّ على العموم ، لكنها فى شعر يتس ترجع أيضاً إلى تأثره « بمدرسة ما قبل رفائيل » . وهى مذهب فى الشعر يتعلق بمذهب فى التصوير تقدَّم عليه ، وأساسه الرجوع بالأسلوب إلى أبسط الصور الممكنة مع العناية البالغة بجماله وروعة إيقاعه ، ثم قَصْرُه على التعبير عن معانٍ عاطفيّة أو خياليّة خالية من تعقيد الفكر والفلسفة . « فالفن » فوق كل اعتبار ، والفنّ هو دينُ هذه المدرسة التى لا تدين بغيره . ومما يلاحظ ههنا أن أساطين هذه ، ومنهم يتس ، جمعوا بين فن التصوير وفن الشعر .

ولعلنا لا نغلو إذا نحن قررنا أن هذا الحس بجمال الشكل بلغ فى يتس حدًّا هو إلى الإعجاز أدنى .

وليس فهم يايتس بالمطلب الهين الدانى ؛ ولكنك إن فهمت معنًى من تلك المعانى « الضبابية » القصية الحاملة لجو (اللاشعور) السحرىّ الغاسق ، ارتد جزءا من أجزاء نفسك لا يتجزأ ، وعنصراً من عناصر حياتك لا ينفكّ يعمل فيك عمله .

وليس يايتس بشاعر من « شعراء الطبيعة » — إن قصدنا بالطبيعة الطبيعة الخارجية — وإنما هو كما سبق القول وبينت الأمثلة صوفى ذاتى « وما العالم الذى نجده فى شعره إلا عالم مرّ فى دنيا خياله فتلفع بالغسق المخيم هناك » . وما الطبيعة عنده إلا مخزن للرموز والحالات النفسية . فصيحة الطير رمزٌ لحبٍّ مفقود ، أو لقب هام على وجهه فى طلاب حُبّ . وعويل الريح رمزٌ للأسى وشهادة بالألم ، وجَرَيان الماء مثلٌ لذوىّ الحسرة ومضىّ الزمن :

« لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل شىء يحول ،
ولسوف نقضى واحداً إثر واحد ، ونمضى
... وكانت لهم أيد كالمخالب ، وكانت سوقهم ملتوية كأشجار الحسك القديمة ، القائمة بجانب الجدول
لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل جميل يمضى ،
كما يمضى الجدول ...

وخيال «يايتس» يبدو على الدوام كأنه خيالُ إنسانٍ «متعبٍ» وما هو على ذلك بمتعب . أو خيال إنسان يعيش فى « التخوم » بين عالم الإنس وعالم الجن (على أنى فى الواقع لا أستطيع أن أعبر عن مقصدى بعبارة أبين)

خيال يايتس يتجه إلى « حيث تخوضُ النجاد الصخرية فى البحيرة ، فهنالك جزيرة وريقة ، فيها الأطيار ترفرف وتصدح ، فتوقظ فيران الماء الناعسة ... » وهنالك تحنى الجنيات سلالهن المليئة بالتوت ، وبالكريز الأحمر المسروق ... هنالك :

« حيث الرسالة المعتمة الشهب
تلتمع تحت نور القمر ،
وبعيداً غاية البعد عن أرض (روسز) ،
سرينا ، نحن معشر الجنيات ،
راجلات ،
نرقص قديم الرقصات ،
فتختلط منا الأيدى وتختلط النظرات
حتى اختفى القمر ...
فانثنينا نثب هنا وهناك
ونطارد الفقاقيع الراغية ،
بينما الدنيا مترعة بالآلام
والإنس قلقون حتى فى المنام » . .

« البقية فى العدد القادم » عبد الكريم الناصرى

(١) الرمزى الفرنسى ومترجم « بو » إلى الفرنسية ١٢ - ٤٣

بين طبيب وزوجته

قالت الزوجة وقد جلسا إلى مائدة الطعام : إنى أحب رائحة هذا الصابون الذى استعمله . نعم إن رائحته قوية ولكن أنا أحب الرائحة فى الصابون

وصاح زوجها الطبيب مندهشاً : احترسى يا عزيزتى من استعمال أى صابون له رائحة — إنك تعلمين أن الرائحة معناها وجود الكحول فى الصابون والكحول يضر الوجه ضرراً عظيما ويجعله ناشفاً قاتماً ويمتص الزيت الموجود فى البشرة . لذلك أنصحك أن لا تستعملى صابوناً فيه رائحة وأفضل صابون للاستعمال هو صابون بالمؤليف لأنه يغذى الجلد وينعش الوجه ويجعله رائقاً جميلاً جذاباً .